تاريخ الإرسال (2020-12-27)، تاريخ قبول النشر (2021-04-20)

وجدي "محمد درويش" قطب

اسم الباحث الأول:

قسم اللغة العربية-كلية الدراسات العليا-
جامعة النجاح الوطنية-نابلس

اسم الجامعة والبلد:

إمالة "تاء التانيث": دراسة موازنة بين قراءة الكسائي، ولهجة مدينة نابلس.

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

alwathekqotob@gmail.com

<https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.4/2021/17>

الملخص:

هذا البحث هو دراسة تندرج تحت علم اللهجات-Dialectology، الذي يرتبط بعلم اللسانيات الوصفية-Descriptive Linguistics، ويتناول حكم إمالة "تاء التانيث" في اللهجة المحكية المعاصرة في مدينة نابلس، ومدى ارتباطها باللهجات العربية القديمة، وذلك من خلال مقارنة هذا النوع من الإمالة مع ما ورد في قراءة الكسائي، وهي من القراءات الصحيحة المتواترة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، التي قرأ بها ابن مسعود، وأقرأها للناس. واعتمدت، في دراستي، على منهجين: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، ثم قمت بتحليل المعطيات بغية الوصول إلى نتائج دقيقة، نستطيع بواسطتها تفسير بعض السمات الصوتية للهجة النابلسية، والتدليل على أن هذه اللهجة تعود، في أصولها، إلى لهجات القبائل العربية التي نزلت في منطقة بلاد الشام.

كلمات مفتاحية: اللسانيات الوصفية، علم اللهجات، علم الأصوات، لهجات فلسطينية، نابلس

The Inflection of "Feminine T": A Comparative Study between the Reading of Al-Kisa'e and the Dialect of Nablus

Abstract:

This study is included in "Dialectology" which is related to descriptive linguistics. It studies the rule of "T" inflection in the modern spoken dialect in Nablus and its relationship with the old Arabic dialects through comparing this inflection with the reading of Al-Kisa'e, which is one of the correct readings reported from Prophet Mohammed (PBUH) read by Ibn Masoud and taught to people. In this study, two methods are employed, namely: descriptive and historical. After that, the researcher has analyzed the data in order to get accurate results through which some of the phonetic characteristics of the dialect of Nablus can be explained. Also, they are employed to indicate that this dialect goes back to Arabic tribes coming from the Levant.

Keywords: descriptive linguistics, Dialectology, phonetics, Palestinian dialects, Nablus.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من كونه يعالج قضية صوتية تخص لهجة من اللهجات العربية المعاصرة (contemporary dialects)، وهي لهجة مدينة نابلس المحكية، ثم الموازنة بين هذه اللهجة مع ما ورد في قراءة الكسائي من أحكام إمالة "تاء التانيث" وقفاً، ذلك أن القراءات القرآنية تمثل، من حيث ملامحها، جانباً كبيراً من خصائص اللهجات العربية القديمة وسماتها، وهذا من شأنه أن يثرى به علم دراسة اللهجات بعامة، واللهجات المعاصرة بخاصة، ويشجع الدارسين، إلى جانب ذلك، على خوض هذا النوع من الدراسات اللسانية الحديثة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة قضية صوتية، تتمثل في إمالة "تاء التانيث"، في لهجة مدينة نابلس، والموازنة بينها وبين قواعد إمالة "تاء التانيث" في قراءة الكسائي، بغية الوصول إلى نتيجة مفادها أن اللهجات العربية المعاصرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقراءات القرآنية من جهة، واللهجات العربية القديمة من جهة أخرى، وهذا من شأنه أن يساعد في تضيق الفجوة القائمة بين اللهجات العامية المعاصرة والفصحى.

وقد درست هذه اللهجة لثلاثة أهداف، الأول موضوعي، ذلك أن دراسة اللهجات تُعدّ من الدراسات اللسانية الحديثة نسبياً، التي شقّت طريقها نحو وصف اللهجات المعاصرة، وهذا من شأنه أن يقدم حلولاً ببناء فيما يخص إعادة الفصحى إلى مكانتها الرفيعة. الهدف الثاني بيان اللهجة على أنها صورة كلامية أدائية لها خصائص صوتية في بعض الأصوات ومخارجها، وكذلك قراءة الكسائي هي طريقة أدائية لقراءة القرآن الكريم باللهجة التي قرأ بها الكسائي. أما الهدف الثالث، فهو ذاتي، ويتمثل في كوني أحد أبناء مدينة نابلس، فكان حرياً بي دراسة هذه اللهجة والتعرف إلى الأصول التي تمتد جذورها إليها، وخاصة مع محاولات التهويد المستمرة لأرضنا، ومقدساتنا، ولغتنا أيضاً في فلسطين.

منهج البحث:

يقوم البحث على منهجين اثنين هما: المنهج الوصفي، وقد تمثل ذلك في أثناء دراسة اللهجة المحكية لمدينة نابلس، فيما يتعلق بإمالة "تاء التانيث"، ثم المنهج التاريخي، وذلك من خلال إرجاع أصول لهجة مدينة نابلس إلى جذورها اللهجية العربية القديمة. علماً بأن لهجة مدينة نابلس قد تمّ تناولها في دراستين سابقتين، هما:

1. دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية. (ماجستير). محمد جواد النوري. جامعة القاهرة. 1979م.
2. بناء الجملة في لهجة نابلس المعاصرة: دراسة وصفية تاريخية. (دكتوراة). محمد جواد النوري. جامعة عين شمس. 1982م.

حدود البحث:

اعتمد الباحث، في هذه الدراسة، على اختيار عينات مختارة، وعشوائية داخل حدود مدينة نابلس، وتحديدًا من رواة اللغة (Informants) المتمثلين من فئة كبار السنّ شبه الأميين، الذي حافظوا، في سلوكهم النطقي، على أصول اللهجة النابلسية.

مدخل:

شكل المنهج الوصفي، الذي أسّس له (دي سوسير) منعطفاً مهماً في تاريخ الدراسات اللغوية الحديثة، فكانت مرحلة انتقالية لتلك الدراسات بعد أن سيطر عليها المنهج التاريخي فترة طويلة من الزمان، وعلم اللهجات (Dialectology) جزء من علم اللسانيات الحديث، الذي يتناول الظواهر اللغوية المتحققة على ألسنة المتحدثين باللهجة المراد دراستها، وتشمل دراسة اللهجات المستويات اللغوية كافة، ونعني بها المستويات: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وبيان ارتباط تلك اللهجة مع شقيقتها التي انبثقت، بمجموعها، عن الفصحى. يقول إبراهيم أنيس: "تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد

نمت هذه الدراسة بالجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأُسِّست لها في بعض الجامعات الرافقية فروع خاصة بدراستها، تعني بشرحها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على الزمن "أنيس".⁽¹⁾

ونشوء المنهج الوصفي في الغرب، يفسر لنا السبب الذي جعل علماءهم، بشكل عام، والمستشرقين، بشكل خاص، يسبقوننا في هذا المجال اللغوي المهم؛ أي في دراسة اللهجات العربية المعاصرة، ثم انتقل الأمر للباحثين العرب بعد أن تأثروا بالمستشرقين، ويؤكد هذه الحقيقة محمد أحمد خاطر حيث يقول: "علم اللهجات على هذا النحو نتاج غربي حديث، أفرزه وكشف عن الحاجة إليه ذلك التقدم الواسع الذي أحرزه الغربيون في مجال الدراسات اللغوية، وعلى نهجهم هذا علماء العربية، أو حاولوا، بعد اتصالهم بهم حديثاً"⁽²⁾.

واللهجة طريقة في الاستعمال اللغوي ذات خصائص وسمات مميزة، مرتبطة ببيئة لغوية محددة. وتكمن أهمية دراسة اللهجات العربية، سواء أكانت قديمة أم حديثة، في أننا نستطيع معرفة مراحل تطور اللغة العربية الفصحى، وسمات كل مرحلة من هذه المراحل، ومعرفة ظواهرها ومدى ارتباطها بالزمان والمكان، وهذا من شأنه أن يساعدنا في معرفة الكيفية التي تتطور اللغات من خلالها، وبالتالي نستطيع وضع اليد على المشكلات التي تواجهها، وإمكانية تقديم حلول تتصف بالدقة والموضوعية. ثم إن اللهجات العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقراءات القرآنية، وهذا من شأنه أن يعيد أصول القراءات القرآنية إلى أصحابها من القبائل العربية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية، وهو جانب مهم من جوانب ميدان الدراسات القرآنية، وفيه خدمة عظيمة للقرآن الكريم، علماً بأن القراءات القرآنية تعدّ من أهم مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة.

ويمكننا، من خلال دراسة اللهجات، أن نصنع أطلساً لهجياً يساعدنا في تحديد الأماكن التي نزلت بها القبائل العربية، لأن كل منطقة تأثرت بلهجة القبيلة التي نزلت فيها. ودراسة اللهجات يكشف عن مدى احتفاظ اللهجات المعاصرة بالعناصر اللغوية التي تعود إلى اللهجات القديمة.

إن "دراسة اللهجات العربية أمر مرغوب فيه، لا باعتبارها أصلاً من الأصول التاريخية التي أسهمت في تكوين الفصحى فحسب، بل باعتبارها كذلك خير معين للغة العربية، على أن تتحرك في ميدان فسيح، تستطيع فيه أن تضيق الهوة، التي تفصلها عن اللهجات العربية الحديثة، التي هي الآن، لغة الحياة في البلاد العربية كلها، وبهذا تستطيع الفصحى أن تحافظ على حيويتها، ونشاطها"⁽³⁾.

شكلت الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية ميداناً دراسياً خصباً لعلمائنا الأجلاء، في محاولة منهم تخريج الأداءات المتنوعة للنص القرآني، وبيان أسباب حدوثها، من أجل فهم كتاب الله، على النحو الذي أراده -سبحانه-، وفي هذا النوع من الدراسات اللغوية يبرز دور علم الأصوات لأنه يقوم بدراسة الصوت الحي للإنسان وهو يؤدي نشاطه اللغوي، وتحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجديدها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر⁽⁴⁾.

تعريف بمدينة نابلس، ولهجتها:

هي إحدى مدن فلسطين التاريخية، تعود أصولها إلى عهد الكنعانيين، حيث كانت تسمى (شكيم)، تقع بين جبلين، يحدها من الشمال جبل عيبال، ومن الجنوب جبل جرزيم، ومناخها معتدل نسبياً، ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط، لها أسماء كثيرة، فقيل عنها: عش العلماء، ودمشق الصغرى، وجبل النار. وقد اكتسبت اسمها من الاسم الروماني (نيوبولس) أي المدينة الجديدة، وتبعد

(1) أنيس، في اللهجات العربية (ص 9-10).

(2) خاطر، في اللهجات العربية (ص 7).

(3) الطيب، من لغات العرب لغة هذيل (ص 13).

(4) انظر: السعران، علم اللغة العام (ص 100).

عن مدينة القدس 69 كم إلى الشمال⁽⁵⁾.

أما اللهجة النابلسية، فهي إحدى اللهجات العامية التي تنتمي إلى بيئة بلاد الشام، وهي اللهجة الفلسطينية الوحيدة التي تشابه اللهجة الدمشقية، وذلك بحكم العلاقة التاريخية، تجارياً وسياسياً، بين المدينتين منذ العصور القديمة حتى فترة حكم العثمانيين، علماً بأن مدينة نابلس تسمى دمشق الصغرى، فهي تشبهها، إلى حد كبير، بأسواقها، وبيوتها القديمة، وأزقتها المعقودة، فضلاً عن لهجتها.

وتحتوي مدينة نابلس على عدة لهجات تنتمي إلى مناطق عديدة، ففيها خليط من لهجات اللاجئين الفلسطينيين من أبناء المخيمات الفلسطينية الذي هُجروا قسراً من أراضيهم عامي 1948م، و1967م، وكذلك لهجة الوافدين طوعاً إلى المدينة من القرى المجاورة، أو المدن الأخرى، لكننا نجد أن معظم سكان المدينة الأصليين لم يتأثروا بذلك التنوع اللهجي، وحافظوا على لهجتهم النابلسية إلى حدٍ كبير.

ترجمة الكسائي (ت 189هـ)⁽⁶⁾.

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، من الموالي، من أئمة الكوفة، فارسي الأصل، إمام عصره في النحو واللغة والقراءات، والحجة الحافظ. سافر إلى البادية، وخالط الأعراب؛ ليأخذ اللغة من مظانها، وقيل إنه أنفد سبع عشرة قنينة وهو يجمع اللغة من الأعراب. التقى بالخليل بن أحمد الفراهيدي، وأخذ عنه. أسس في الكوفة مدرسة النحو المشهورة، التي خالفت مدرسة البصرة في كثير من مسائل النحو واللغة.

وإضافة لما سبق، فهو من الثقاة العدول، ومن أكابر العلماء، مدحه كثيرون، قال عنه الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي"، ورفض بعضهم ما نسب إليه فيما يتعلق بالمسألة الزنيورية⁽⁷⁾. وألف كتباً عديدة، في مجالات شتى، منها: النوار الكبير، والنوار الأوسط، والنوار الأصغر، ومعاني القرآن، وكتاب القراءات، والمصادر، والحروف، وغيرها. أخذ القراءات عن أئمة أهل الكوفة، ثم انبرى لإقراء الناس، فكان له في مسجد الكوفة حلقة يقرأ فيها القرآن، فيتلقى الناس عنه، ويضبطون قراءتهم. تلقى عن حمزة بن حبيب الزيات. توفي سنة (185هـ)، أحد القراء السبعة، وروى عنه الدوري أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي البغدادي النحوي، وهو ثقة. توفي سنة (246هـ)، كما روى عنه أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، وهو ثقة متقن للقراءة. توفي سنة (200هـ)، وقراءة أبو الحارث مقدمة في الأداء⁽⁸⁾.

المحور الأول: حكم إمالة "تاء التانيث" في كتب التجويد.

تعرضت كتب التجويد إلى هذه المسألة في أثناء حديثها عن حكم الإمالة، وإمالة "تاء التانيث"، من الأحكام التي اشتهرت بها قراءة الكسائي، وقد قيل له إنك تميل ما قبل هاء التانيث فقال: هذا طباع العربية⁽⁹⁾.

أما "تاء التانيث"، فهي تاء تلحق الاسم للدلالة على التانيث، وتسمى "هاء التانيث" باعتبار الوقف عليها، أو "تاء التانيث" باعتبار وصلها، والأولى أن تسمى "تاء التانيث"، لأنّ الهاء فرع عن التاء في هذه المسألة، أو لنقل، بعبارة أخرى، إن صوت الهاء هو ألوфон التاء، ويعني الألوфон (Allophone) التنوع الصوتي السياقي للفونيم، بحيث لا يكون له قيمة دلالية في السياق، وإنما يتحقق لاعتبارات صوتية، وفيما يتعلق بتاء التانيث، فإنّ مجيء ألوфон الهاء محلّها في السياق وفقاً كان لاعتبار صوتي بحت،

⁽⁵⁾ انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين (ج3/97 وما بعدها).

⁽⁶⁾ انظر على سبيل المثال: الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ج88/1)؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان (ج295/3)؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ج2/163).

⁽⁷⁾ المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو (ص102).

⁽⁸⁾ ضمرة، غاية رضائي في قراءة الكسائي (ص11).

⁽⁹⁾ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج82/2).

وهو أن صوت الهاء أوضح في السمع من صوت التاء⁽¹⁰⁾، و ما "هاء السكت" في القرآن الكريم إلا من أجل إيجاد وضوح سمعي في نهاية الآيات.

والوضوح السمعي في الأداء (sonority) يعني طاقة الصوت النطقية التي تتأثر بمجموعة من العوامل ذات العلاقة بجهاز النطق، كاحتكاك ذرات الهواء بمجرى الجهاز النطقي، وتوقف تيار الهواء لبعض الوقت، وحجم حجرة الرنين، التي تؤثر في مدى قوة الوضوح السمعي للصوت اللغوي⁽¹¹⁾. وصوت التاء يقع في مجموعة الأصوات الانفجارية المهموسة، التي تعد الأضعف من حيث الوضوح السمعي، ولأن "تاء التأنيث" تقع لاحقة (suffix) للأسماء، فإن مجيئها في آخر الكلمة والوقوف عليها يضاعف بنية آخر الكلمة من حيث وضوحها السمعي، فاستعويض عنها بصوت الهاء، الذي يقع ضمن مجموعة الأصوات الاحتكاكية المهموسة، وهي أصوات أوضح سمعياً من نظيرتها الانفجارية المهموسة، مما يكسب آخر الكلمة وضوحاً سمعياً أعلى نسبياً. ويعود السبب في ذلك إلى أمرين، أولهما أن صوت الهاء صوت احتكاكي، وهو ملمحٌ يكسب الصوت وضوحاً سمعياً أكبر مقارنةً بلمح الانفجار، والأمر الآخر أن صوت الهاء الاحتكاكي (h) أطول زمنياً في نطقه من صوت التاء الانفجاري (t)، حيث يبلغ متوسط المدى الزمني لصوت الهاء (130 م/ث)⁽¹²⁾، في حين أن متوسط المدى الزمني لصوت التاء هو (50 م/ث)⁽¹³⁾، وطول الصوت اللغوي، أو قصره، من المعايير المهمة التي تؤثر في الوضوح السمعي للأصوات اللغوية.

وقد اعترض الدكتور إبراهيم أنيس على قضية قلب التاء إلى هاء، بل إنه يقرر أن التاء حُذفت، وما يسمع هو "امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل"⁽¹⁴⁾، فيخيل للسامع أن الكلمة انتهت بالهاء، وكلامه هذا ينطبق على اللهجات المعاصرة المحكية كلهجة مدينة نابلس مثلاً، أما في القراءات القرآنية، فما نسمعه من أهل الأداء المحققين هو هاء واضحة بيّنة.

الإمالة:

أما الإمالة، فهي ظاهرة نطقية غير كتابية شائعة في بعض اللهجات العربية، فضلاً عن ورودها في القراءات القرآنية، والمتعارف عليه أن الإمالة اشتهرت عند قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها، كأسد، وقيس، وتميم، وطِيء، وبكر بن وائل⁽¹⁵⁾، بل قرّر سيبويه أن "الإمالة أكثر في كلامهم"⁽¹⁶⁾، يقصد العرب، أما في القراءات القرآنية، فقد اشتهرت على ألسنة قراء الكوفة، كالكسائي، وخلف، وحمره. وقد قيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التأنيث. فقال: هذا طباع العربية. قال الحافظ أبو عمرو الداني: يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة، وهي باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب، يقولون: أخذته أخذه، وضربته ضربة. قال: وحكى نحو ذلك عنهم الأخفش سعيد بن مسعدة⁽¹⁷⁾ (ت215هـ)، والداني عاش في حدود القرن الخامس الهجري، وكلامه يدل على أن القبائل العربية التي كانت الإمالة حاضرة في لهجتها، نزلت الكوفة. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قد أمال في بعض كلامه، فقليل له أتميل؟ فقال: إنها لغة الأخوال في بني سعد⁽¹⁸⁾.

⁽¹⁰⁾ انظر: النوري، من لسانيات اللغة العربية- علم الأصوات (ص226-227).

⁽¹¹⁾ استيتية، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات (ص59).

⁽¹²⁾ انظر: العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية (ص97).

⁽¹³⁾ نفسه (ص72).

⁽¹⁴⁾ أنيس، في اللهجات العربية (ص136).

⁽¹⁵⁾ السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (ج3/375). وابن يعيش، شرح المفصل (ج54/9). والدمشقي، إبراز المعاني من حزر الأمان (ص204).

⁽¹⁶⁾ سيبويه، الكتاب (ج4/127).

⁽¹⁷⁾ ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر (ج2/82).

⁽¹⁸⁾ انظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج1/585).

والإمالة من الميل، ويعني لغة: "العدول إلى الشيء، والإقبال إليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلاً وممّالاً"⁽¹⁹⁾. ومن خلالها تقترب الفتحة من الكسرة، فتتجانس الأصوات، ويقع التناسب فيما بينها، مما يساعد على سرعة النطق، وعدم بذل مجهود عضلي كبير، وهذا من خصائص البدو، أما الفتح؛ أي عدم الإمالة، فإنه يؤدي إلى فصل الأصوات، وإعطاء كل صوت حقه، مما يؤدي إلى الأناة، والتمهل في الكلام، وهذا من صفات الحضرة⁽²⁰⁾. والإمالة تتعلق، حصراً، بـ"الألف"، وهي حركة طويلة، و"الفتحة"، وهي حركة قصيرة، وقد عقد سيبويه باباً أسماه "هذا باب ما تمال فيه الألفات"، وبين في هذا الباب أنّ الهدف من الإمالة هو التقريب⁽²¹⁾، والتقريب يندرج تحت ما يسمى المماثلة الصوتية (Assimilation)، وقد عدّ ابن جني الإمالة من باب الإدغام الأصغر، يقول: "وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف... فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت"⁽²²⁾. وقد عرفها محمود فهمي حجازي بأنها "إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقاً يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة"⁽²³⁾.

واشتهرت قراءة الكسائي بالإمالة الكبرى، أو ما يُسمّى عند علماء التجويد بـ(الإضجاع)، أو (البطح)، أو (الترخيم)، وتختلف هذه الإمالة عن إمالة قراءة ورش عن نافع مثلاً، فهي تُسمّى (التقليل)، أو (التلطيف)، أو التي (بين بين)⁽²⁴⁾، ومثل الكسائي قرأ حمزة، وإلى ابن مسعود تنتهي قراءتهما، علماً بأن الكسائي تلمذ حمزة، وحمزة قرأ على الأعمش (ت148هـ)، والأعمش أخذ عن ابن مسعود (ت32هـ) -رضي الله عنه-.

والأمر الذي يجب أن يشار إليه في هذا المقام، هو اختلاف القدماء في "الحرف"⁽²⁵⁾ المُمال، فبعضهم قال إن "الحرف" الممال هو "تاء التأنيث" مع ما قبلها، وعلى هذا المذهب أبو عمرو الداني، وأبو العباس المهدي، وأبو عبد الله بن سفيان، وأبو عبد الله بن شريح، وأبو القاسم الشاطبي⁽²⁶⁾، وقيل إن المُمال هو الحرف الذي قبلها، وهو مذهب مكي بن أبي طالب القيسي، والحافظ أبي العلاء، وأبي محمد سبط الخياط، وابن سوار⁽²⁷⁾، ويرجح ابن الجزري الرأي الأول، وهو أن الإمالة وقعت على "تاء التأنيث" مع ما قبلها، ومع احترامنا وإجلالنا لعلمائنا الأفاضل، إلا أن القولين خاطئان من الناحية العلمية، لأنّ الإمالة، أصلاً، لا تكون إلا في الحركات، ولا تقع على الصوامت، وعليه، فإنّ الإمالة، في هذه المسألة، لا تقع إلا على "الفتحة القصيرة" التي تقع قبل "تاء التأنيث وقفاً".

أما عن سبب ذلك الخط، لدى العلماء الأجلاء، فيعود إلى أنهم لم يعتدوا بالحركات مثلما اعتدوا بالصوامت، ولم يلتفتوا إليها في دراساتهم اللغوية إلا بعد دخول اللحن إلى الفصحى بسبب الفتوحات الإسلامية، فاختلفت الألسنة، مما جعل بعض العلماء يتجه نحو ترميزها⁽²⁸⁾، فعدّوا أن الإمالة قد وقعت على "الحرف" الذي يحمل "الفتحة القصيرة"، باعتبار أن "الحروف" تحمل الحركات، وأن الأساس في الكلمة هي تلك "الحروف" التي تتكون منها وليس الحركات، وهذا التصور خاطئ من الناحية العلمية،

⁽¹⁹⁾ ابن منظور، لسان العرب مادة (ميل).

⁽²⁰⁾ انظر: هلال، اللهجات العربية نشأة وتطوراً (ص134-144).

⁽²¹⁾ سيبويه، الكتاب (ج4/117).

⁽²²⁾ ابن جني، الخصائص (ج2/141).

⁽²³⁾ حجازي، علم اللغة العربية (ص226).

⁽²⁴⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/30).

⁽²⁵⁾ ذكرت كلمة "الحرف" على عادة القدماء، والأصل أن نقول "الصوت".

⁽²⁶⁾ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/88).

⁽²⁷⁾ نفسه (ج2/88).

⁽²⁸⁾ أي وضع رموز للحركات، وكان أبو الأسود الدؤلي أول من وضع نظام الحركات في اللغة العربية. انظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين (ص35).

فتاء التأنيث عند الوقف عليها لا تكون إلا ساكنة، أما الصامت الذي يقع قبل "تاء التأنيث"، و"الفتحة القصيرة" لا تقع عليه الإمالة. ولذلك نرى "أنهم نظروا إلى الحركات القصيرة على أنها زوائد تابعة لأصوات المد، بمعنى أنها ليست من أحرف الكلمة الأساسية، فاعتقدوا بوجود حركات قبل أحرف المد من جنسها، ولذلك توهموا وجود فتحة ممالاة قبل الألف الممالاة"⁽²⁹⁾.

وهذا التحول في صوت الفتحة القصيرة الواقعة قبل "تاء التأنيث" إلى الصوت الجديد؛ أي حركة الإمالة، هو من باب التنوع اللهجي (Diaphone)⁽³⁰⁾، ولا يوجد في اللغة العربية الفصحى فونيمٌ يمثل الإمالة، كما هو الحال مع الفتحة، والضمة، والكسرة. والفتحة، في اللغة العربية، بحسب مخطط دانيال جونز⁽³¹⁾، هي حركة أمامية واسعة، لكنها "أقلّ اتساعاً وأقلّ أمامية"⁽³²⁾، أما حركة الإمالة الكبرى (e)، فهي حركة أمامية نصف ضيقة، بحيث يكون موقع اللسان في نقطة أكثر اتساعاً من الحركة الأمامية الضيقة، والشكل الآتي يوضح موقع كل من الفتحة، والكسرة، والإمالة:

ويعمل سيبويه إمالة الهاء بأنها أميلت لشبهها بالألف⁽³³⁾؛ أي "الفتحة الطويلة"، ويقصد بـ"الألف" هنا "ألف التأنيث"⁽³⁴⁾، وفي قوله نظر، ذلك أنّ الإمالة لا تقع على الهاء مطلقاً كما أسلفت، ثم إنّ مخرج "الهاء" يختلف عن مخرج "الفتحة الطويلة"، وإنّ عدّهما بعض القدماء من مخرج واحد⁽³⁵⁾.

وينقسم حكم إمالة "تاء التأنيث" في قراءة الكسائي إلى مذهبين، مذهب مرجوح، وهو إمالة الفتحة القصيرة الواقعة قبل "تاء التأنيث" مطلقاً بغض النظر عن الحروف التي تقع قبلها، إلا إذا سبقها صوت الفتحة الطويلة، أي "الألف"، بحسب تعبير القدماء، ويسمى هذا المذهب بـ"المذهب الإجمالي". وهناك مذهب راجح، وهو إمالة الفتحة القصيرة الواقعة قبل "تاء التأنيث" بحسب ما قبلها من حروف الهجاء، ويسمى بـ"المذهب التفصيلي"، وهو المذهب الذي سندرسه دراسة مقارنة مع لهجة مدينة نابلس، وتفصيل هذا المذهب على النحو الآتي:

- أ. تُمال الفتحة القصيرة إذا سبقها أحد حروف العبارة الآتية: (فجئت زينب لذود شمس).
- ب. تمال إذا سبقها أحرف (أكهر) بشرط أن تسبق بياء، أو كسر، أو ساكن قبله كسر.
- ج. لا تمال إذا سبقها أحد الحروف الآتية: (خص ضغط قط حاع).

⁽²⁹⁾ بني مصطفى، الإمالة عند القدماء في ضوء علم اللغة الحديث. (ص108).

⁽³⁰⁾ انظر: النوري، دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية (ص113).

⁽³¹⁾ انظر: النوري، من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات (ص266).

⁽³²⁾ نفسه (ص267).

⁽³³⁾ انظر: سيبويه، الكتاب (ج4/140-141).

⁽³⁴⁾ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/87).

⁽³⁵⁾ ذهب بعضهم إلى أن مخرج الألف المدية هو نفس مخرج الهمزة والهاء من أقصى الحلق. انظر: سيبويه، الكتاب (ج4/433). والدمشقي، أبو شامة،

إبراز المعاني من حرز الأمان (ص744).

والملاحظ مما سبق أن الإمالة تقع مع أصوات المجموعة الأولى التي جمعت في العبارة (فجئت زينب لذود شمس)، والقاسم المشترك بين هذه الأصوات هو أنها أصوات مرققة، وهي أيضًا أصوات أمامية عدا الواو (w)⁽³⁶⁾، والترقيق يناسب الإمالة. وفي المقابل، فإن الإمالة لا تلنقي مطلقًا مع أصوات المجموعة الثانية التي جمعت في العبارة (خص ضغط قط حاع)، وهذا يرجع إلى عاملين اثنين يتعلقان بهذه الأصوات، علمًا بأن هذين العاملين قد يجتمعان في صوت واحد، وقد لا يجتمعان، وذلك على النحو الآتي:

- **عامل الاستعلاء:** وتنقسم الأصوات المستعلية إلى قسمين، الأصوات المفخمة تفخيمًا كليًا (Total velarization) (ص، ض، ط، ظ)، والأصوات المفخمة تفخيمًا جزئيًا (Partial velarization): (ق، غ، خ)، والأصوات التي قد يصاحب إنتاجها، في بعض الحالات، قيمة تفخيمية، مثل صوت: (ر).
- **عامل المخرج:** وتنتمي هذه الأصوات إلى عدة مخارج لكن ما يجمعها أنها صوامت خلفية (Back consonant)، فهناك الأصوات الحنجرية (ء، هـ)، والحلقية (ع، ح)، والطبقية (ك).

وقد أشار علماءنا إلى أن الأصوات المفخمة (ص، ض، ط، ظ، غ، ق، خ، ر "المفخمة") تمنع من تحقق الإمالة، وذلك لأن هذه الأصوات مستعلية نحو الطبق إلى أعلى، ونحو الجدار الخلفي للحلق وتحتاج إلى جهد عضلي كبير، وهذه الآلية معاكسة تمامًا لآلية إنتاج الحركة الممالة، فهي أمامية نصف ضيقة، قال صاحب الدر النثير: "أما أحرف الاستعلاء منها، فاستعلاؤها ينافر الإمالة"⁽³⁷⁾، فلا تُمال "الفتحة القصيرة"، عند الوقف على "تاء التأنيث"، مع هذه الأصوات.

أما فيما يتعلق بـ"الراء المفخمة"، فتمنع الإمالة معها لأن فيها استعلاء، والاستعلاء صفة تتأفر الإمالة كما أسلفنا، وهذا ما يفهم من كلام الدكتور إبراهيم أنيس، عن الراء في قوله: "والفرق بين الراء المرققة، والمفخمة يشبه الفرق بين اللام المرققة والمغلظة، أي أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق، ولكن الرسم العربي لم يرمز لها برمز خاص يتغير بتغيره معنى الكلمة. ولهذا نعد كلا النوعين صوتًا واحدًا"⁽³⁸⁾، وبالتالي، فإن هذا التنوع الصوتي لصوت الراء، بين الترقيق والتفخيم، هو من باب التنوع الصوتي السياقي (Allophone)، فإذا كان ما قبل الراء مكسورًا، أو سبق بساكن قبله مكسور، أو سبق بياء، فإن "الفتحة القصيرة" الواقعة قبل "تاء التأنيث" تُمال، لأن صوت الراء في هذه الحالة فقد صفة الاستعلاء، مما أكسبه صفة الترقيق، وصفة الترقيق تتناسب مع الإمالة.

⁽³⁶⁾ مع العلم أن للشفتين دورًا في عملية إنتاجهما وبرزهما إلى الأمام.

⁽³⁷⁾ المالقي، الدر النثير والعذب النمر (ج4/34).

⁽³⁸⁾ أنيس، الأصوات اللغوية (ص57).

أما بالنسبة للعامل الآخر؛ أي **عامل المخرج**، فالظاهر أن الإمالة لا تلتقي مع مجموعة الصوامت الخلفية (Back consonant)، التي تشمل الأصوات الحنجرية (ء، هـ)، والحلقية (ع، ح)، واللهوية (ق)، والطبقية (ك)، وربما يعود السبب في ذلك، إلى أن الأصوات الخلفية بعامة، تتسم آلية إنتاجها بالصعوبة النسبية، مقارنة مع الأصوات الأمامية، ويمكن أن يتضح الأمر لنا أكثر، بعد أن نفهم دور اللسان في عملية إنتاج كلا النوعين، فلو نظرنا إلى دوره مع الأصوات الخلفية لرأينا أن اللسان دوراً في إنتاجها، ويتمثل ذلك بحركة جذر اللسان (Back Of The Tongue)، فهذا الجزء الخلفي للسان "قادر على الاقتراب من الجدار الخلفي للحلق، لإنتاج بعض الأصوات، كصوتي الحاء والعين الحلقيين، في اللغة العربية. وفي وسع هذا الجزء أيضاً، أن يقترب من اللهاة لإنتاج صوت القاف اللهوي، أو الاقتراب من الطبق لإنتاج الأصوات الطبقية، كأصوات الكاف، والحاء، والغين في العربية"⁽³⁹⁾، وبسبب هذه الصعوبة في حركة جذر اللسان، أثرت الأصوات الخلفية حركة الفتحة الطويلة، لأنها أخف الحركات⁽⁴⁰⁾، الأمر الذي من شأنه أن يخفف من صعوبتها. وقد أقرّ بذلك الخليل بن أحمد، حينما ردّ على رجل لا يجد فرقاً بين الحركات بقوله: "أخف الأفعال عليك السمع، لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة، إنما تسمعه من الصوت، وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي إخراج الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد"⁽⁴¹⁾، وفي كلامه إشارة قوية إلى أن الفتحة أخف من الضمة من حيث آلية إنتاجها، كما أقرّ بخفة حركة الفتحة سيويوه حينما قال: "ويقولون في (فخذ) فخذ، وفي (رسل) رسل، ولا يخفّفون (جمل)، لأنّ الفتحة أخفّ عليهم من الضمة والكسرة"⁽⁴²⁾، ويبين الفراء عمل أعضاء في إنتاج الحركات وسبب ثقل بعضها، يقول: "فإنما يستقل الضم والكسر، لأنّ لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشففتين، تتضم الرفعة بهما فيثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فتجد ذلك ثقيلًا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة"⁽⁴³⁾، والدرس الصوتي الحديث يقرّ بأن صوت الحلق "بعد صدوره من مخرجه يحتاج إلى اتساع مجراه في الفم، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره اتساعاً وهو الفتحة"⁽⁴⁴⁾.

إن الجهد المبذول في إنتاج الحركات يتفاوت من حركة إلى أخرى، ويكون أقصى جهد مبذول مع حركة الضمة؛ لسببين يتمثلان في أن لهذا الصوت مخرجين اثنين، أحدهما رئيس (Primary point of articulation)، ويتمثل بارتفاع مؤخر اللسان إلى أقصى نقطة من سقف الحنك الأعلى، دون إعاقة للهواء الزفيري، بحيث لا يحصل احتكاك مسموع، كما يلامس جانب اللسان الخلفيان الأسنان العليا، ويتنقر الجزء الأمامي منه، والمخرج الآخر فرعي أو ثانوي (Secondary point of articulation)، ويتمثل باستدارة الشفتين. أما في حركة الكسرة، فنرى أن الجزء الأمامي للسان يرتفع باتجاه الغار، دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقة مجرى الهواء، ويتصل جانب اللسان بالأسنان العليا، كما يصاحب إنتاجها انفراج في الشفتين. أما في آلية إنتاج صوت الفتحة، فنجد أن اللسان يهبط إلى قاع في وضع مريح، مع ارتفاع قليل في وسطه، ويتنعد الفك العلوي والسفلي عن بعضهما، ولا يكون للشفتين أي دور في إنتاج هذه الحركة، وبالتالي نلاحظ أن آلية إنتاج الضمة كانت الأثقل من بين الحركات، ثم تأتي الكسرة بعدها، ثم الفتحة التي تعدّ أخف الحركات.

والهدف مما سبق، هو تحقيق اقتصاد في المجهود العضلي، وسهولة النطق، وهذا ما أشار إليه سيويوه حينما قال عنها: "ليكون العمل [أي عمل اللسان] من وجه واحد"⁽⁴⁵⁾، وهو مبدأ لغوي يندرج تحت قانون الجهد الأقل (Law of least effort).

(39) النوري، من لسانيات اللغة العربية- علم الأصوات (ص122).

(40) انظر: نجار، أصوات الحركات العربية، دراسة جمالية (ص159).

(41) السيوطي، الأشباه والنظائر (ج1/350).

(42) سيويوه، الكتاب (ج4/167).

(43) الفراء، معاني القرآن (ج1/331).

(44) أنيس، في اللهجات العربية (ص170).

(45) سيويوه، الكتاب (ج3/278).

ومما يُشار إليه في هذه المسألة أن بعضهم جعل صوتي (ح، ع) في مجموعة الأصوات المستعلية، وينسب هذا القول إلى الكوفيين، جاء في الإقناع: "حدّثني أبو القاسم رحمه الله-، حدثنا أبو معشر، حدثنا الحسين بن علي، حدثنا الخزاعي، قال: سمعت أبا بكر، يعني الشّاذلي، يقول: وكان ابن مجاهد، وابن المنادي يختاران ترك الإمالة مع تسعة أحرف تأتي قبل هاء التانيث، سبعة منها حروف الإطباق، وهي: (ضغظ خص قظ)، ومع: الحاء، والعين. قال أبو جعفر: زاد الحاء، والعين على مذهب الكوفيين، لأنهما عندهم من حروف الاستعلاء"⁽⁴⁶⁾، ولهذا نرى أن ابن أبي عمر يقول في كتابه "الإيضاح": "ومنهم من ألحق العين والحاء بالمستعلية من القراء دون النحاة"⁽⁴⁷⁾، ومثله قال أبو شامة في كتابه "إبراز المعاني": "وبعضهم ألحق العين والحاء المهملتين بالحروف المستعلية"⁽⁴⁸⁾.

والحق أن إضافة الحاء والعين إلى مجموعة الأصوات المستعلية خطأ جسيم، ووهم وقع فيه بعض الشّراح، لأن صوتي الحاء والعين ليس فيهما استعلاء، بل هما من الأصوات المستقلة، أي التي يكون مؤخر اللسان، في أثناء النطق بها، منخفضاً عن الطبق أسفل الفم، ويبدو أن وقوعهم في هذا الخطأ مرتبط بما ذهب إليه الكسائي في منع الإمالة مع حروف الاستعلاء المعروفة، إضافة إلى الحاء والعين، فتوهموا أن الحاء والعين من ضمن حروف الاستعلاء. ولهذا نجد المألقي يوضح أن سبب عدم الإمالة مع هذين الصوتين يعود إلى "قربهما من الخاء والغين في المخرج، فحكم لهما بحكمهما"⁽⁴⁹⁾، ويبين أبو عمرو الداني أن "فتح هاء التانيث في الوقف مع الحاء والعين، لأنهما حرفا حلق، وحروف الحلق من حيز الألف، والفتح من الألف، فلذلك لزم حروف الحلق، فكان أولى بها ليجانس الصوت"⁽⁵⁰⁾، ونستشف من كلامه أن أحرف الحلق تُؤثر الفتح⁽⁵¹⁾، فسبب عدم إمالة "الفتحة القصيرة" الواقعة قبل "تاء التانيث" مع صوتي الحاء والعين، يعود إلى عامل المخرج، وليس إلى عامل الاستعلاء، كما قيل.

وإذا سُبقت "تاء التانيث" بـ"الألف"؛ أي "الفتحة الطويلة"، تمتنع الإمالة، ويعلل ابن الجزري عدم إمالة الألف في نحو (الصلاة)، إلى أن إمالة الألف يلزمه إمالة ما قبلها وهذا خروج عن قاعدة إمالة "تاء التانيث"، إذ إن "الأصل في هذا الباب هو الاختصار على إمالة الهاء والحرف الذي قبلها فقط"⁽⁵²⁾، وقد جانب الصواب في كلامه رحمه الله-، وللتوضيح أكثر لا بد من مناقشة بعض الأمور التي تتعلق بما يسمى "الألف"، فالملاحظ أن علماءنا عاملوا "الألف"⁽⁵³⁾ على أنه "حرف" كباقي حروف الهجاء، إذ إن له جرافيمات (Grapheme) متنوعة، بحسب أصله الواوي أو اليائي، أو موقعه داخل الكلمة، ويُشار إلى الألف بجرافيم رئيس هو (ا)، فلما توهموا أن "الألف" حرف مثل باقي الحروف، وليس حركة، افترضوا ضرورة وجود فتحة على الحرف الصامت الذي يسبقها، بل إنهم يؤكدون أنه لا يمكن أن "تثبت الألف إلا بعد فتحة"⁽⁵⁴⁾، وكذلك توهموا وجود ضمة قبل الواو المدية، وكسرة قبل الياء المدية، وعليه، نرى أن علماءنا أجلاء جانبوا الصواب في هذه المسألة، بل إن ما يسمى "الألف"، في عرفهم، هي حركة "الفتحة الطويلة" (aa)، التي تشبه "الفتحة القصيرة" (a) في آلية إنتاجها، ولكنهما تختلفان من حيث الطول الزمني (length)، أو الكمية (Quantity)، ولا يأتي قبلها إلا صامت، وكذلك الحال مع صوتي الواو والياء المدّيين.

⁽⁴⁶⁾ ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع (ج1/317).

⁽⁴⁷⁾ الأندراي، الإيضاح في القراءات (ص379).

⁽⁴⁸⁾ الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأمان (ص752).

⁽⁴⁹⁾ المألقي، الدر النثير والعذب النميز (ج4/35).

⁽⁵⁰⁾ الداني، الفتح والإمالة (ص310).

⁽⁵¹⁾ انظر: ابن سيده، المخصص. (ج4/327). وابن جني، المنصف (ص207).

⁽⁵²⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/89).

⁽⁵³⁾ للمزيد حول "الألف" تاريخياً، وعلاقتها بالهمزة انظر: بشر، الألف في اللغة العربية (ص47-55).

⁽⁵⁴⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/33).

ولما وضع علمائنا قواعد الإمالة، خاصة فيما يتعلق بأحكام تجويد القرآن الكريم، وجدوا أن الإمالة ترجع إلى سببين، الانسجام بين أصوات اللين، والأصل اليائي⁽⁵⁵⁾، وفيما يتعلق بإمالة "تاء التأنيث" نجد أن "الألف" في كلمة (الصلاة) مثلاً، منقلبة عن (الواو)، فأصلها (صَلَوَ)، ودليل أصلها الواوي أنها كتبت في المصحف كالأتي: (الصلوة) مع وجود "ألف خنجرية" فوق الواو، يقول ابن جني: "وأما الفتحة الممالة نحو الضمة، فالتى تكون قبل ألف التخميم، وذلك نحو: الصلاة، الزكاة، وغزا، وقام، وصاغ، وكما أن الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضمة، فذلك التى بعدها ليست ألفاً محضة؛ لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها"⁽⁵⁶⁾. فبالتالى، نميل إلى أن هذا التفسير هو السبب الرئيس في عدم الإمالة هنا، علماً بأن "تاء التأنيث"، مسبقة بالفتحة الطويلة، في ست كلمات في القرآن الكريم، هي "الصَّلَاة، الرَّكَّاءة، الْحَيَاة، النَّجَاة، بِالْعَدَاة، وَمَنَاة"، فالفتحة الطويلة في هذه الكلمات هي، أصلاً، منقلبة عن واو مفتوحة، ولذلك لم تمل؛ لأن الإمالة، في الأعم الأغلب، لما كان أصله ياء، أو واو مكسورة⁽⁵⁷⁾. بل إن ما ورد عن العرب، في لهجاتهم، أن هذه الألف ورد تخميمها عند أهل الحجاز، وإشمامها بشيء من الضم، باعتبار الأصل الواوي للألف⁽⁵⁸⁾.

المبحث الثالث: إمالة هاء التأنيث في لهجة مدينة نابلس.

بعد أن درسنا، في المحور الثاني، حكم إمالة تاء التأنيث، وعالجنا الموضوع معالجة صوتية، سيخصص هذا المحور الأخير للموازنة بين ما ورد من قواعد الإمالة لدى الكسائي، مع ما هو منطوق به في لهجة مدينة نابلس المعاصرة. والجدير بالذكر، أن إمالة "تاء التأنيث" حاضرة في بعض اللهجات الشامية المعاصرة، وهذا يرجع إلى القبائل العربية التي نطقت بهذه السمة اللهجية، وسكنت هذه المنطقة، فاللهجات الحديثة، وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة⁽⁵⁹⁾.

ويعزو بعض الباحثين انتشار الإمالة إلى قبيلة قضاة التي سكنت بلاد الشام، وهي من القبائل التي كانت تميل في كلامها، ويمكن أن يكون انتشار الإمالة بسبب العلاقة القوية التي كانت سائدة بين إقليم نجد، وإقليم بلاد الشام، فتأثرت لهجة بلاد الشام بلهجاتهم⁽⁶⁰⁾.

ومما ينبغي التأكيد عليه، أن لهجة مدينة نابلس لا تقلب التاء إلى هاء، وإنما نسمع فقط صوت حركة الإمالة، دون أن نسمع الهاء، ويبدو أن اختفاء صوت الهاء كان لتحقيق مزيد من الاقتصاد الصوتي، فمثلاً حينما نريد أن نقول كلمة (نِعْمَة) باللهجة النابلسية، تُلفظ (ni^ome)، ولا نقول (ni^omeh)، وذلك في الوقف والوصل، وبهذا يتحقق الاقتصاد في المجهود العضلي أثناء الكلام.

⁽⁵⁵⁾ انظر: ابن الجزي، النشر في القراءات العشر (ج2/32).

⁽⁵⁶⁾ ابن جني، سر صناعة الإعراب (ج1/67).

⁽⁵⁷⁾ ابن الجزي، النشر في القراءات العشر (ج2/35). وجاء في إبراز المعاني: "فلا تمال الهاء في هذه الكلم العشر أي التي امتنعت الألف فيها من الإمالة"، لأنه يلزم من ذلك إمالة الألفات، وهي لا تقبل الإمالة، لأنها من ذوات الواو في بعضها، ومجهولة في بعضها". انظر: الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأمانى (ص247).

⁽⁵⁸⁾ انظر: علي، ألف التخميم في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العراقية (ص194-213).

⁽⁵⁹⁾ أنيس، في اللهجات العربية (ص239).

⁽⁶⁰⁾ انظر: الجندي، اللهجات العربية في التراث (ص288).

أما عن إمالة "تاء التأنيث" في لهجة مدينة نابلس، فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: وهو القسم الذي يشتمل على الأصوات التي تقع الإمالة معها دون شروط، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الصوت	الكلمة	الصوت	الكلمة
ب	صِغِيَّة	ش	عِيشَة
ت	فَتِيَّة	ف	خَلِيفَة
ث	كَارِثَة	ل	عَلِيَّة
ج	فُرْجَة	م	شَامِيَة
د	عُنْدَة (عُقْدَة)	ن	سَنِيَّة
ذ	***	و	دَعْوَة
ز	جَنَازَة	ي	جَمَاطِيَة
س	خَمْسَة		

ولم يلحظ الباحث في هذا القسم أي خروج على قاعدة الإمالة لـ"تاء التأنيث" لدى الكسائي، وبالتالي، فإن لهجة نابلس تُميل الحركة الواقعة قبل "تاء التأنيث" تمامًا كما هو الحال في قراءة الكسائي مع أصوات: "فجئت زينب لذود شمس"، مع التنويه إلى أن الباحث لم يجد مثالاً على وقوع الإمالة مع صوت (الذال)، لأن هذا الصوت يتحول في لهجة نابلس إلى ديافون (الزاي).

القسم الثاني: وهو القسم الذي يشتمل على الأصوات التي لا تقع معها الإمالة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الصوت	الكلمة	الصوت	الكلمة
aa	صلاة	ط	غُلْطَة
ح	بَلْحَة	ظ	بُوْطَة (بوزة)
خ	خَوْحَة	ع	أَلْعَة (قلعة)
ص	إِرْخِيصَة (رخيصة)	غ	صَبْغَة
ض	عَارِضَة	ق	شَفْقَة (شفأة)

ويلاحظ، في هذا القسم، أن الإمالة لا تقع مع الأصوات: (خص ضغط قط حاع) في لهجة مدينة نابلس، مثلما هو الحال مع قراءة الكسائي، ولكن مع التنبيه على أن صوت (الطاء) يتحول في لهجة مدينة نابلس إلى ديافون (الزاي) المفخم، وكذلك الحال مع صوت (القاف) الذي يتحول إلى ديافون (الهمزة).

القسم الثالث: وهو القسم الذي يشتمل على الأصوات التي تقع معها الإمالة، ولكن بشروط، وهي: إما أن تسبق بكسرة قصيرة، أو بياء، أو بساكن قبله كسر.

وقد عولج كل صوت من أصوات هذا القسم كلٌّ على حدة، وروعي في أثناء المعالجة كل الاحتمالات التي يمكن أن ترد في مسألة نوع الحركة التي تسبق الإمالة، وقد بلغ عددها اثني عشر احتمالاً، كالآتي:

1. صوت الهمزة (ء):

براءة	baraa ³ a	a	+ p / =	1	aa
		∅		2	a
برينة	barii ³ a	a		3	ii
		∅		4	i

5	uu	+con.+ / ^o /=	a	marzuu ^o a	مرزواة
6	u		Ø		
7	aa		Ø		
8	a		a	faJ ^o a	فجاة
9	ii		Ø		
10	i		Ø		
11	uu		Ø		
12	u		a	Jur ^o a	جراة

يتبين لنا من المخطط التوضيحي السابق ما يأتي:

- لم يرد صوت همزة مسبوقة بحركة (a/u/i)، أو مسبوقة بصامت ساكن وقبله (aa/ii/i/uu)، وهذا يعود إلى طبيعة البنية المقطعية للغة العربية بشكل عام، ولهجة مدينة نابلس بشكل خاص، والمقام لا يتسع لمناقشة هذه المسألة حتى لا نخرج عن القضية الرئيسة التي نناقشها في دراستنا هذه.
- لم تُمل الفتحة الواقعة قبل "تاء التانيث" مع أي احتمال من الاحتمالات التي وردت أعلاه، بل أثرت الفتح، في الحالات جميعها، سواء أسبقت بكسر، أو ساكن قبله كسر، فضلاً عن أنواع الحركات الأخرى، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى أن صوت (الهمزة) من الأصوات التي تتسم بالصعوبة النطقية، إذ إنه بحاجة إلى مجهود أكبر نسبياً، من غيره من الأصوات في أثناء عملية النطق به، كما أنه من الأصوات الخلفية، وبالتحديد من مخرج الحنجرة، والأصوات الخلفية، ومعها كل الأصوات الحلقية، تؤثر الفتح، كما أسلفنا في هذا البحث، طلباً للخفة، والاقتصاد في المجهود العضلي أثناء العملية الكلامية. وبالتالي خالفت لهجة مدينة نابلس قاعدة الكسائي في وقوع الإمالة بعد الهمزة بالشروط التي ذكرناها.

2. صوت الهاء (ه):

1	aa	+ /h/ =	a	tafaaha	تفاهة
2	a		Ø		
3	ii		a	nabiiha	نبيهة
4	i		Ø		
5	uu		Ø		
6	u		Ø		
7	aa	+(con.)+ /h/=	a	taafha	تافهة
8	a		a	nadha	ندهة
9	ii		Ø		
10	i		a	mintibha	منتبهة
11	uu		Ø		
12	u		Ø		

يتبين لنا من خلال المخطط التوضيحي أعلاه ما يأتي:

- لم تُمل الحركة الواقعة قبل "تاء التانيث" مع أي حالة من الحالات الواردة أعلاه، بل أثرت الفتح، وهذا يعود إلى أن صوت الهاء يندرج ضمن مجموع الأصوات الخلفية، التي تؤثر الفتح كما أسلفنا.
- يُلاحظ أن الإمالة لم تقع رغم توفر الشروط التي توجب الإمالة بحسب قاعدة الإمالة عند الكسائي فيما يخص هذه

الحالة الثالثة والعاشرة.

3. صوت الكاف (ك):

1	aa	+ / k / =	Ø	
2	a		e	barake بركة
3	ii		Ø	
4	i		e	malaa'ike ملايكة
5	uu		e	mabruuke مبروكة
6	u		Ø	
7	aa	+con.+ / k /=	e	šakke شاكّة
8	a		Ø	
9	ii		Ø	
10	i		Ø	
11	uu		Ø	
12	u		e	burke بركة

• يُلاحظ

أن الحركة الواقعة قبل "تاء التأنيث" قد آثرت الإمالة في الحالات جميعها، سواء أسبقت بكسر، أو ففتح، أو ساكن قبله كسر، أو فتح، وقد ورد في كتب القراءات ما يسوغ لذلك، فقد جاء في كتاب النشر أن مكي بن أبي طالب القيسي حكى عن شيخه أبي الطيب أنه "أطلق الإمالة عند الكاف بغير شرط، واعتبر ما قبل الثلاثة الآخر"⁽⁶¹⁾، أي أنه اعتبر الشروط التي أوردناها سابقاً في إمالة أحرف الهمزة، والهاء، والراء.

• نرى أن لهجة مدينة نابلس خالفت قراءة الكسائي في قاعدة وقوع الإمالة مع صوت الكاف.

4. صوت الراء (ر):

1	aa	+ / r / =	a	šaṭaara شطارة
2	a		a	ma'bara مقبرة (مأبرة)
3	ii		a	baṣeera بصيرة
4	i		Ø	
5	uu		a	mastuura مستورة
6	u		Ø	
7	aa	+con.+ / r /=	Ø	
8	a		a	ša'ra شعرة
9	ii		Ø	
10	i		a	xebra خبرة
11	uu		Ø	
12	u		Ø	

• يُلاحظ

أنّ الغالب في الحركة التي تقع قبل "تاء التأنيث" فيما يخصّ صوت (الراء) هو إثارها الفتح، وقد وردت الإمالة في بعض الحالات كما سنرى، والسبب في إثثار الفتح على الإمالة، هو أن صوت الراء في لهجة مدينة نابلس، يحمل في معظم حالاته قيمة تفخيمية، فناسب ذلك الفتح في الحركة الواقعة قبل "تاء التأنيث".

⁽⁶¹⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج2/86).

- تتراوح الحركة الواقعة قبل "تاء التانيث" بين الفتح والإمالة في الحالة العاشرة بحسب بنية الكلمة، وما تحتوي عليه من أصوات، ففي المخطط أعلاه وردت كلمة "خبرة"، وفي هذه الكلمة نجد أن الحركة الواقعة قبل "تاء التانيث" آثرت الفتح، في حين نجد أن الحركة الواقعة قبل "تاء التانيث" في كلمتي "إبرة"، و"سدر"، قد آثرت الإمالة، والسبب يعود إلى تأثير بعض الأصوات القوية في بنية الكلمة، فكلمة خبرة مثلاً، نجد أن صوت (الخاء)، وهو من أحرف النخيم، قد أثر في بنية الكلمة جميعها، مما جعل الحركة الواقعة قبل "تاء التانيث" تؤثر الفتح على الإمالة، وأن كلمتي (إبرة) و(سدر) لم يرد فيهما أي حرف من حروف الاستعلاء، ولهذا وقعت فيهما الإمالة.

خاتمة:

إن الهدف من هذه الدراسة، ومثيلاتها، في المستقبل، يصبُّ في بُوتقة إعادة تمكين الفصحى، في مجالات الحياة كافة، والحل باعتقادي هو العمل على التقريب بين اللهجة والفصيحة شيئاً فشيئاً، ويكون ذلك ابتداءً من خلال الإعلام، ومؤسسات الدولة، والدوائر الحكومية، والمناهج الدراسية، وتعميم ذلك على مؤسسات القطاع الخاص، فبهذه الطريقة يمكن إعادة نشر الفصحى بين الناس، حتى تصبح اللغة المتداولة بين العامة والخاصة، على امتداد وطننا العربي.

وتكمن أهمية دراسة اللهجات يندرج تحت موضوع الأمن اللغوي، خاصة في فلسطين، ذلك أنها تتعرض، في وقتنا الحاضر، إلى محاولات صهيونية حثيثة لطمس كل ما يمتّ بصلة للعروبة والإسلام، ولا شك في أن اللغة تُحارب من قبلهم، وأكبر دليل على ذلك محاولتهم تغيير أسماء المدن والقرى العربية إلى أسماء عبرية، ومما يؤسف له، في هذا الشأن، هو أن العديد من أبناء الشعب الفلسطيني قد انجرف وراء تيار الثقافة العبرية، فدخل العديد من المصطلحات العبرية إلى اللغة العامية الفلسطينية. وعلى أي حال، فإن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث كانت كالآتي:

- إن دراسة اللهجات المحكية من شأنها أن تؤدي إلى توثيق صلة متكلمي هذه اللهجات مع اللغة العربية الفصحى، التي تسعى جاهدين لتكون لغة الحضارة الحديثة، وأن تستعيد مكانتها في جميع المجالات العلمية والإنسانية. ولا يتم ذلك إلا من خلال إجراء مقارنة بين اللهجات العربية الحديثة واللهجات القديمة، ومعرفة مدى التأثير والتأثير بينهما.
- إن واجب المتخصص في علم اللغة تفسير الظواهر اللغوية، سواء أكانت فيما يخص اللهجات، أو الفصحى، وقد ثبت أن "هناك بعض الظواهر اللهجية القديمة التي لا يمكن تفسيرها، أمكن تفسيرها الآن في ضوء اللهجات العربية العامية"⁽⁶²⁾، لأن اللهجات المعاصرة "مصدر أصيل يهتدى به إلى معرفة اللهجات العربية القديمة"⁽⁶³⁾.
- بيان أصالة الارتباط بين علم التجويد وعلم الأصوات الحديث، بل إن علم التجويد هو علم أصوات نشأ لخدمة القرآن الكريم، لأن التجويد هو أن يقرأ القارئ القرآن بطريقة سليمة بحيث تخرج الأصوات من مواضعها بلامحها كافة على نحو واضح وجلي.
- إن الإمالة حركة صوتية نطقية لا كتابية في اللهجات العربية القديمة والحديثة وقبلها في العربية الفصحى. إن وجود الإمالة في اللهجات القديمة والحديثة والعمل بها في الأداء القرآني والقراءات القرآنية يدل على أنها لغة فصيحة قبلتها

⁽⁶²⁾ الجندي، اللهجات العربية في التراث (ص126).

⁽⁶³⁾ نفسه (ص128).

العربية وقرأ بها أصحاب القراءات القرآنية.

أما أهم التوصيات في هذا المجال، فيتمثل في أن البحث في اللهجات المعاصرة بحاجة إلى مزيد من الدراسات الشاملة، والبحوث المعمقة، والواجب تضافر جهود الباحثين وعلماء اللغة، لبيان السمات اللهجية في أقطار وطننا العربي الحبيب، والنهوض إلى صناعة معجم للهجات العربية قديمها وحديثها، وردم الهوة بينها وبين اللغة العربية الفصحى، وهذا من شأنه أن يوحد أبناء وطننا العربي، ويعيد لغتنا الفصحى إلى موقعها الحضاري المتقدم.

المصادر والمراجع

- استيتية، سمير شريف. (1988م). ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات. مجلة أبحاث اليرموك. الأردن، 6(1)، 59-101.
- الأندرابي، أحمد بن أبي عمر. (2002م). الإيضاح في القراءات. تحقيق: منى عدنان غني. د.ط. د.م.
- أنيس، إبراهيم. (د.ت). الأصوات اللغوية. د.ط. مطبعة نهضة مصر.
- (1992م). في اللهجات العربية. ط8. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن الباذش، أحمد بن علي. (1403هـ). الإقناع في القراءات السبع. تحقيق: عبد المجيد قطامش. ط1. دمشق: دار الفكر.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. (د.ت). النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. د.ط. دار الكتب المصرية.
- (2000م). سر صناعة الإعراب. تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي عامر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حجازي، محمود فهمي. (د.ت). علم اللغة العربية. د.ط. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- خاطر، محمد أحمد. (1978-1979م). في اللهجات العربية. د.ط. القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1972م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. د.ط. بيروت: دار صادر.
- الداني، أبو عمرو. (د.ت). الفتح والإمالة. د.ط. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي. د.م.
- الدمشقي، أبو شامة. (د.ت). إبراز المعاني من حرز الأماني. تحقيق: إبراهيم عطوه عوض. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السعران، محمود. (د.ت). علم اللغة العام، مقدمة للقارئ العربي. د.ط. بيروت: دار النهضة العربية.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (1982م). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيوطي، جلال الدين. (1426هـ). الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. د.ط.
- (1987م). الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق: عبد الإله نبهان وآخرون. د.ط. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- (د.ت). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. د.ط. تحقيق: محمد أبو الفضل. بيروت: المكتبة العصرية.
- (1998م). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: أحمد شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ضمرة، توفيق إبراهيم. (2007م). غاية رضائي في قراءة الكسائي. ط1. عمان.
 الطيب، عبد الجواد. (د.ت). من لغات العرب، لغة هذيل. د.ط. د.م.
 العاني، سلمان. (1983م). التشكيل الصوتي في اللغة العربية. (ترجمة: ياسر الملاح). ط1. جدة: النادي الأدبي الثقافي.
 الفراء، أبو زكريا. (2002م). معاني القرآن. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
 المالقي، عبد الواحد بن محمد. (1990م). الدر النثير والعنب التميمير. تحقيق: أحمد عبد الله أحمد المقرئ. د.ط. د.م.
 المخزومي، مهدي. (1958م). مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. ط2. القاهرة: البابي الحلبي.
 بني مصطفى، عبير. (2018م). الإمالة عند القدماء في ضوء علم اللغة الحديث. دفاثر مخبر الشعرية الجزائرية، 3(7)، 107-129.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003م). لسان العرب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
 النوري، محمد جواد. (2019م). من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
 هلال، عبد الغفار حامد. (1998م). اللهجات العربية نشأة وتطورا. د.ط. القاهرة: دار الفكر العربي.
 ابن يعيش، موفق الدين. (د.ت). شرح المفصل. د.ط. إدارة الطباعة المنيرية.

قائمة المراجع المرومنة:

- Al-Aani, S. (1983 AD). Phonemic formation in the Arabic language (in Arabic). (Translation: Yasser Al Mallah). (1 st ad). Jeddah: Literary Cultural Club.
- Al-Andrabi, A. (2002). Clarification in readings (in Arabic). Investigation: Mona Adnan Ghani.
- Al-Maliki, A. (1990 AD). Adorr Alnatheer wa Ala'thb Annameer (in Arabic). Verified by: Ahmed Abdullah Ahmad Al-Maqri.
- Al-Nouri, M. (2019 AD). From the linguistics of the Arabic language – phonology (in Arabic). (1 st ad) . Beirut: Dar al kotob alelmyya.
- Al-Saaran, M. (n.d). Linguistics, an introduction to the Arabic reader (in Arabic). T. Beirut: Dar annahda.
- Al-Suyuti, J. (1426 AH). Perfection in the sciences of the Qur'an (in Arabic). Investigated by: Center for Quranic Studies.
- Al-Suyuti, J. (1987 AD). Ala'shbah wa annathai'er fi annahw (in Arabic). Verified by: Abd al-Ilah Nabhan and others. Damascus: Publications of the Language Academy
- Al-Suyuti, J. (1998 AD). Hama' al hawamea' fi sharh jama' al jawamea' (in Arabic). Verified by: Ahmed Shams El-Din. (1 st ad). Beirut: Dar al kotob alelmyya.
- Al-Suyuti, J. (n.d). Boghyat Alwoa'at fi tabaqat Alloghawiyeen wa Annohat. (in Arabic). Verified by: Muhammad Abu Al-Fadl. Beirut: Modern Library.
- Al-Tayyib, A. (n.d). One of the languages of the Arabs, the language of Havel (in Arabic).
- Anees, I . (n.d). In the Arabic dialects (in Arabic). Cairo: The Anglo-Egyptian Library.
- Anees, I . (n.d). Linguistic sounds (in Arabic). Nahdat Masr printing house.
- Bani Mustafa, A. (2018 AD). Tilt of the ancients in the light of modern linguistics (in Arabic). Notebooks of Algerian poetry, 3 (7), 107-129.
- Dimashqi, A. (n.d). I'braz Almaa'ani min herz ala'mani (in Arabic). Investigation: Ibrahim Atwa Awad. Beirut: Dar al kotob alelmyya.
- Damra, T. (2007 AD). The goal of my satisfaction in reading Kasaei (in Arabic). (1 st ad). Amman.
- Danny, Abu Amr. (n.d). Open and tilt (in Arabic). T. Verified by: Omar Bin Thameneh Al-Amrawi.

- Estaiteyyah, s. (1988). The phenomenon of auditory clarity in sounds (in Arabic). Yarmouk Research Journal. Jordan. 6(1), 59-101.
- Farra', A. (2002 AD). Meanings of the Qur'an (in Arabic). Verified by: Ibrahim Shams El-Din. (1 st ad). Beirut: Dar alkotob alelmyya.
- Hegazy, Mahmoud Fahmy. (n.d). Knowledge of the Arabic language (in Arabic). Dar Gharib for printing, publishing and distribution.
- Hilal, A. (1998 AD). Arabic dialects originate and develop (in Arabic). Cairo: The Arab Thought House.
- Ibn Al-Badash, A. (1403 AH). Persuasion in the Seven Readings (in Arabic). Verified by: Abdul Majeed Qatamesh. I 1. Damascus: Dar Alfekr.
- Ibn al-Jazri, M. (n.d). Publication in the ten readings (in Arabic). Verified by: Ali Muhammad Al-Dabaa. D. Beirut: Dar alkotob alelmyya.
- Ibn Jinni, O .(2000). The secret of the parsing industry (in Arabic). Investigation: Mohamed Hassan Ismail and Ahmed Rushdi Amer. (1 st ad). Beirut: Dar alkotob alelmyya.
- Ibn Jinni, O. (n.d). Properties (in Arabic). Verified by: Muhammad Ali Al-Najjar. Dar alkotob almasryya.
- Ibn Khallikan, Ahmed bin Mohammed. (1972 AD). Senate deaths and news of the sons of time (in Arabic). Verified by: Ihssan Abbas. Beirut: Dar Sader.
- Ibn Manzoor, M. (2003 AD). Arabes Tong (in Arabic). (1 st ad). Beirut: Dar alkotob alelmyya.
- Ibn Yaish, M. (n.d). Detailed explanation (in Arabic). The management print of Al moneryyah.
- Khater, M. (1978-1979 AD). In the Arabic dialects (in Arabic). Cairo: Al-Hussein Islamic Press.
- Makhzoumi, M. (1958 AD). The Kufa School and its curriculum in the study of language and grammar (in Arabic). 2 st ad. Cairo: Al-Babi Al-Halabi.
- Seebawayh, A. (1982 AD). the book (in Arabic). Verified by: Abd al-Salam Haroun. (2 st ad). Cairo: Al-Khanji Library.